الفصل الرابع

الكتابة والكتب في العصور القديمة

قبل ان نبدأ بدراسة الموضوع الذي اعتزمنا دراسته في هذا الفصل ، لابد لنا من تحديد مفهوم العصور القديمة واين وكيف ومتى وجدت المفاهيم والعناصر التي ازمعنا دراستها هنا . والواقع ان مفهوم العصور القديمة يعود الى تصور اوربي ، يقسم مجرى التاريخ الانساني الى اقسام ثلاثة : العصور القديمة والعصور الوسيطة والعصور الحديثة .

فالعصور القديمة بموجب هذا التصور هي تلك الاعصر التي ابتدأت مع بروز حضارات مصر وسورية وبلاد الرافدين منذ اوائل الالف الثالث من الميلاد وتمتد حتى تنتهي بسقوط روما بيد البرابرة سنة ٤٧٦ م . ويشمل بلاد الشرق الادنى القديم وبلاد اليونان والامبراطورية الرومانية ، اضافة الى ايران وبلاد الفرس والامبراطورية التي انشأتها .

اما العصور الوسيطة فهي تلك الحقبة من الزمن التي انقضت بين سنتي ٤٧٦ م و١٤٩٢ م وهي سنة اكتشاف القارة الامريكية على يد كولومبوس وهي السنة التي زال فيها نهائياً حكم المسلمين من الاندلس .

والعصور الحديثة هي التي تمتد من سنة ١٤٩٢ م حتى الوقت الحاضر . وهناك من يقسم هذه الفترة الى قسمين ويجعل قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م حداً بين هذين العهدين .

ان فكرة تقسيم المجرى التاريخي الانساني الى عصور تفصل بينها سنوات فاصلة محددة هي فكرة خاطئة وغير علمية وغير صحيحة . فاولاً ليس مجرى التاريخ الانساني العالمي واحداً في جميع الاماكن ، فقد تأخر ظهور الحضارة في اوربا عن الشرق اكثر من الفي سنة . كذلك توصف العصور الوسطى انها

عصور جهل وظلام وسيطرة الكنيسة على العقول والعواطف ، وهي عصور اقطاع واستبداد الملوك . . . الخ هذا الوصف لاينطبق الا على اوربا وحدها فهي المنطقة التي كانت سائدة بها هذه الاشياء . اما الشرق فكان في وضع مغاير كل المغايرة لاوربا ، فقد اشرقت في ارجائه شمس نور الاسلام وتأصلت وتوطدت الحضارة الاسلامية التي جعلت العالم الاسلامي موئل العلم والعلماء وموطن النور والعدل والتقدم والرقي . كذلك كانت بلاد الشرق الاقصى تمر في تطور مغاير لما مرت به اوربا . كذلك يختلف المجرى التاريخي في العصور الحديثة في اوربا عنه في بقية ارجاء العالم . واخيراً فان المجرى التاريخي لاتحدده سنوات فاصلة قاطعة فلايمكن ابداً القول ان العصور القديمة التي امتازت بخصائص معينة تختلف مع العصور الوسطى بل وتتناقص معها قد انتهت دفعة واحدة في يوم من ايام سنة ٤٧٦ م وبدأت العصور الوسطى . وكل ما يمكن قوله هو ان المجرى التاريخي يجري بشكل غير ملحوظ ، وان عملية التغيير والصيرورة والتحول عملية بطيئة غير مشعور بها ، وان هذا المجرى يختلف من مكان الى مكان حسب طبيعة البشر وطبيعة الحوادث والاحداث . الا ان مثل هذا التقسيم يسهل عملية الدراسة ، وعلى الدارس ان يتذكر دائماً ان هذا تقسيم اصطناعي من اجل تسهيل عملية البحث وتنسيق التسلسل التاريخي الزمني .

ونحن هنا سندرس فيما يلي من صفحات تطور الكتاب والكتابة في كل من بلاد الرافدين وسورية ومصر حتى عهد الاسكندر الكبير ، ثم نتابع نفس الدراسة في نفس الاماكن لان هذه الاماكن اصبحت بعد عهد الاسكندر جزءً من العالم اليوناني الذي ندرس تطور الكتب والكتابة فيه ثم نتابع نفس الدراسة في روما وامبراطوريتها التي شملت ابان اتساعها وعزها عالم البحر الابيض المتوسط وقسماً مهماً من اوربا .

الكتابة والكتب في بلاد الرافدين :

لقد سبق ان درسنا ظهور الكتابة وتطورها في بلاد الرافدين في الفصل السابق . ونحب ان نقول انه سكن وادي الرافدين في اول عهوده التاريخية ، السومريون الذين هم من عنصر غير سامي ، وتمركزوا في القسم الاسفل من الوادي واسسوا دويلات المدن وكان لهم حضارة رائعة واسسوا مكتبات فخمة كثيرة وطوروا الخط حتى وصلوا الى الخط المسماري واستعملوا اللوحات الفخارية مادة للكتابة . كذلك تعاصر مع السومريين الاكاديون الساميون الذين سكنوا شمالي وادي الرافدين ومن اشهر ملوكهم سرحون الذي يوصف انه اول فاتح سامي في التاريخ . ومن تفاعل الحضارتين السومرية والاكادية نشأت الحضارة البابلية واشهر ملوكها حمورابي . ثم نبعت في نفس المنطقة ، في وقت لاحق الحضارة الاشورية ومن بعدها الكلدانية .

هذا ولقد وجدت مجموعات كبرى من اللوحات الفخارية في كثير من انقاض المدن القديمة . فقد وجد في مدينة ارك في وادي الفرات الاسفل مجموعات فخارية بعضها عليه كتابة مقطعية وبعضها يحمل كتابة مسمارية مما يوحي على انها من زمن احدث . واكتشف ايضاً في تللو قرب لاغاش مجموعة من اللوحات الفخارية يبلغ تعدادها ٣٠ الف لوحة وكلها مكتوبة بالخط المسماري وتعود الى حدود ٢١٠٠ ق.م . ووجد في انقاض مدينة نيبور التي تقع جنوبي بغداد مجموعة ضخمة من اللوحات الفخارية . ولقد وجد على طول وادي الرافدين اكثر من عشر مجموعات كبرى ضخمة من اللوحات الفخارية يبدو انهاكانت مكتبات معابد او مكتبات قصور ملكية ، كما وجد مجموعات اصغر من اللوحات الفخارية لاتحصى ولاتعد ، ويبدو انها مكتبات خاصة او مكتبات سجلات ومحفوظات .

ولقد قام الملك العظيم حمورابي بنشاط ثقافي واسع ، الى جانب نشاطه العسكري والاقتصادي والاداري والقانوني ، فقد حاول جمع تواريخ الملوك السابقين لحكمه ، كما انه اعاد كتابة قصة الخليقة وتسلسل الآلهة ، ولكن لم يصلنا

شيء من هذه التواريخ . كذلك نظم حمورابي القوانين واصدر القانون الشهير باسمه . هذا ولابد ان الملك استخدم جيشاً من الكتبة والنساخ ، وان هؤلاء الكتبة نسخوا الوف اللوحات الفخارية لتغطية هذا النشاط الثقافي الواسع ووضعوها في مكتبات خاصة هي مكتبات القصر ومكتبات المعابد في العاصمة بابل ، ولابد انهم نظموها ورتبوها بشكل يسهل استعمالها والاستفادة منها .

ولقد كان للاشوريين نشاطات ثقافية كبرى ، الى جانب نشاطهم العسكري المشهور . ذلك ان باستطاعتنا ان ندل على بقايا مكتبات حقيقية صنفت حسب الموضوعات ووضع لها فهارس بدائية . وتعتبر المكتبة التي اسسها سرجون الثاني المتوفى سنة ٧٠٥ ق.م في قصره في خورسباد (في شمالي العراق) تدشيناً لعصر مزدهر كل الازدهار من عصور تقدم المكتبات . ولقد اكتشف في بقايا المكتبة لوحات طينية كثيرة فيها ادب وعلم وفن وتاريخ ، الى جانب سجلات ملوك الاشوريين منذ عام ٢٠٠٠ ق.م حتى عهد سرجون نفسه . ولكن اشوربانيبال حفيد سرجون يعتبر اعظم امبراطور اشوري اهتم بالعلم والمعرفة والمكتبات ، حتى اصبحت مكتبته التي اوجدها في عاصمته نينوى من اعظم مكتبات العالم القديم واهمها .وقد كان يرسل الوكلاء والتجار الى ارجاء الامبراطورية الاشورية الممتدة من ايران شرقاً الى مصر غرباً لجلب اللوحات والسجلات والمواد المكتوبة في مختلف الموضوعات وبمختلف اللغات الى مكتبته ، تدل على ذلك رسالته التي وجهها الى وكيله شادونيShaduni في هذا الموضوع [كلمة الملك الى شادوني . . . خذ معك ثلاثة رجال . . . فتش عن جميع اللوحات وجميع اللوحات الموجودة في البيوت ، وجميع اللوحات الموجودة في المعابد . . . والتي قد تكون مفيدة ومناسبة لقصري ، فتش عنها واستخرجها وارسلها الي . . .][1] . وقد اوجد اشوربانيبال في قصره جهازاً كاملاً من النقلة والنساخ مهمتهم نقل وترجمة اللوحات الاجنبية الى الاشورية ونسخها على لوحات فخارية واضافتها الى محتويات المكتبة . ويروى انه سأل الاله الاشوري نابو اله الكتابة ان يبارك له مكتبته وان يساعده على بنائها واتمامها .

(١) rider. op. cit. P. 31

ولقد شغلت المكتبة عدداً كبيراً من الغرف في القصر الملكي ، ويبدو ان بعض الغرف خصصت لبعض الموضوعات ، فكان هناك غرفة مخصصة للعلاقات الدبلوماسية واخرى للتاريخ وثالثة للجغرافيا واخرى للقوانين ، وغرف لسجلات الضرائب ، واخيراً غرفة للاساطير . وكانت تحوي كذلك وثائق الدولة ومراسلاتها وسجلات التجارة الداخلية وادارة الاعمال ولوائح الانساب وشجراتها .

كانت اللوحات الفخارية في هذه المكتبة تحفظ في جرار ، وكانت الجرار ترتب اما في صفوف او توضع على الرفوف ، وتحمل كل جرة معلومات يذكر فيها الجرة نفسها والصف الذي وضعت فيه الجرة ، والغرفة الموجودة فيها والرف والصف . كذلك وجد قرب مدخل كل غرفة سجل بيبليوغرافي ، في سجل لوحة فخارية ثبتت على مدخل تلك الغرفة ، بعدد الاعمال الموجودة في تلك الغرفة يشمل العنوان وعدد اللوحات المخصصة لذلك العمل ومكان وجوده مع ذكر الصف والجرة . ولقد سلمت المكتبة بعد خراب نينوى ، ذلك ان الكلدانيين والميديين هاجموا نينوى سنة ٦١٢ ق.م ودمروا المدينة وجعلوها اثراً بعد عين ، ولكنهم لم يهتموا باللوحات الفخارية فظلت في مكانها حتى اكتشفها في العصور الحديثة الباحث الانكليزي سير هنري رولنسونRawlinson في موقع اسمه تل الخروف ونقل القسم الاكبر من لوحاتها الى المتحف البريطاني في لندن .

والواقع زود السومريون ومن بعدهم البابليون والاشوريون غرف المكتبات ومداخلهابسجل بيبليوغرافي لما تحويه تلك الغرفة من اعمال . فقد اكتسف لوحان فخاريان هما سجل للعناوين الموجودة في احدى غرف المكتبة . يوجد في متحف جامعة بنسلفانيا لوح طيني ابعاده ٢,٥ X ١,٥ بوصة وقد كتب عليه ، وعلى الوجهين ، اسماء كتب باللغة السومرية ، وهو كامل تقريباً وفي حالة سليمة وهو يحوي عناوين اثنين وستين عنواناً من التآليف الادبية ؛ ذلك ان الكاتب قسم اللوح من كل جانب الى حقلين واستعمل خطاً دقيقاً ، وان مالايقل عن اربعة وعشرين عنواناً من العناوين التي اثبتها هذا الكاتب في هذا الفهرس يمكن تعيينها باعتبارها اسماء مؤلفات وصلتنا نصوصها الخاصة بها كاملة ، او القسم الاكبر

منها . ويتألف عنوان المؤلف السومري من جزء من السطر الاول من المؤلف ، والغالب القسم الاول منه .

كذلك يوجد في متحف اللوفر في باريس لوح مسجل وصفه ناسخه الفرنسي دي جنوياك انه ترتيلة دينية ، ولكن الواقع والفحص الدقيق يثبت انه فهرس يشبه اللوح الطيني المذكور اعلاه شبهاً كبيراً ، ومن المحتمل ان يكون اللوحان كتبهما نفس الشخص اي ناسخ وكاتب لوح جامعة بنسلفانيا هو نفسه كاتب لوح متحف اللوفر ، وذلك بالاستناد الى موازنة خطي اللوحين . ولوح متحف اللوفر مقسم ايضاً الى اربعة حقول ، ويتضمن فهرسه ثمانية وستين عنواناً اي يزيد على لوح متحف الجامعة بستة عناوين . ويوجد ثلاثة واربعون عنواناً متطابقة في كلا اللوحين على الرغم من ان ترتيبها مختلف في اكثر المواطن .

اما بالنسبة للاسس التي سار بموجبها ذلك الكاتب القديم في تنظيم فهرسه فانها غير واضحة بالمرة . فاول مايلاحظ انه ، لما كان الثلاثة والاربعون عنواناً الموجودة في كلا الفهرسين بصورة مشتركة تختلف اختلافاً كبيراً في تنظيمها وتسلسلها في كل من اللوحين ، فيتضح ان الاسس المتبعة في كل من الفهرسين لم تكن متطابقة[1] .

وعلى الرغم من ان مكتبة اشوربانيبال كانت اشهر واهم مكتبة في بلاد الرافدين ، الاانها لم تكن الوحيدة ، اذ عثر على كثير من المكتبات المهمة والمنظمة والغنية كل الغنى في عدد كبير من مدن وادي الرافدين ، وكثير منها يعود الى عهود موغلة في القدم ، اقدم بكثير من مكتبة اشوربانيبال .

كذلك كان يلحق باغلب المعابد مكتبات مهمة فيها مجموعات فخمة من اللوحات الفخارية التي تحوي معلومات تتعلق بتاريخ الالهة والملاحم الدينية ونصوص الترانيم والشعائر الدينية والادبية والصلوات والنذور وغير ذلك مما له علاقة بالطقوس الدينية . كما حوت اعمالاً لها علاقة بالزراعة والري والفلك والهندسة والتنجيم والحساب والطب . . . وكان المعبد مكاناً لتعليم الكتاب

---

(١) كريمر ، صمويل . من ألواح سومر . تأليف صمويل كريمر تعريب طه باقر . بغداد ، مكتبة المثنى . ص ٣٧١ ـ ٣٧٤ .

الكتابة . ذلك ان الكتابة المسمارية صعبة يحتاج تعلمها الى زمن طويل وجهد شاق . وقد قام بهذه المهمة رجال الدين وكانوا يعلمون الطلاب اصول وقواعد هذه الكتابة ، ويعدونهم في الوقت نفسه ، ليكونوا فلكيين او اطباء او مزارعين . . . ولذلك الحق بهذه المعابد مدارس للتعليم ووجد فيها مكتبات ، وقد وجد في هذه المكتبات كثير من اللوحات الفخارية هي كتب مدرسية كانت تدرس للطلاب ومنها عرفنا منهج الدراسة .

هذا وتختلف المكتبات البابلية والاشورية في طبيعتها عن المكتبات المعروفة وذلك بسبب المواد التي استعملت ككتب ونقصد بذلك اللوحات الفخارية . ان اغلب اللوحات الفخارية اكتشفت تحت انقاض المدن وهي قطع مكسرة ، ولذلك فمن الصعوبة بمكان ان نعرف كيفية ترتيبها اصلاً . لقد امكن في بعض الحالات النادرة ، كما في حالة مكتبة اشوربانيبال ، ان نحرز المكان او الغرف التي كانت مخصصة للمكتبة ، ولكن ذلك كان مستحيلاً في اماكن اخرى كثيرة وفي حالات كثيرة ، ومع ذلك يمكن اعطاء ملامح عامة للترتيب الذي كان متبعاً في اغلب هذه المكتبات . ذلك ان اللوحات الفخارية وضعت في منطقة معينة ، وكانت مرتبة بطريقة من الطرق ووضعت بعهدة اشخاص متمرنين . لقد وضعت اللوحات في المكتبة بعدة طرق وعدة اشكال . فقد جمع بعضها على رفوف ، ورص بعضها في رفوف ضيقة ، ورتب بعضها في سلال او وضع في جرار فخارية . ولقد استعمل ، بعض الاحيان ، مواد اخرى غير اللوحات الطينية للكتابة ، مثل البردى والرقوق واللوحات الشمعية واللوحات الخشبية ، ولكنها تلفت عبر السنين . كذلك يختلف حجم ومساحة اللوحات الفخارية المتبقية اختلافاً كبيراً ، إلا أن الحجم الشائع هو ٣/٦ بوصة للوحة الواحدة . وكانت اللوحات ، كما ذكرنا سابقاً ، مسطحة الاعلى ، مقعرة بعض التقعر من الاسفل . ولما كانت اللوحة الواحدة لاتستوعب اكثر من محتويات صفحتين او ثلاث فقد وجب استعمال عدد من اللوحات من اجل اغلب الاعمال . ولذلك رقمت جميع اللوحات المستعملة من اجل تسجيل عمل واحد رقماً متسلسلاً من اول العمل حتى نهايته ، فمثلاً(اللوحة الخامسة عشرة من ملحمة جلجامش) ، وتحوي اللوحة التالية في

اعلاها اول كلمة تبدأ بها هي واخر كلمة موجودة في اللوحة السابقة . وتوضع جميع اللوحات الحاوية لعمل واحد في جرة او سلة او توضع في كوة خاصة على الرف . وقد وجد في بعض المجموعات نوع من الفهرس المسمى كولوفون (Colophon) موجود على اللوحة الاولى ، يذكر فيه اسم المالك واسم الكاتب والسطر الاول او الكلمة الاولى من العمل وعدد اللوحات المستعملة في تسجيل هذا العمل . وكانت تنظم ، احياناً ، جميع اللوحات المستعملة في تسجيل كتاب ، في سلك . وقد اكتشف في خرائب المدن فهارس ولوائح محتويات المكتبة من اللوحات ، كما في مكتبة اشوربانيبال ، وكان يكتب عليها اسماء الكتب الموجودة في الغرفة وتثبت الى الجدار قرب مدخل الغرفة ، وقد ادخلت اسماء الكتب في الفهرس بموجب العنوان والسطر الاول . وكانت اللوحات تختم ، احياناً ، بختم مالكها ، كما هي الحال في مكتبة اشوربانيبال حيث ختمت جميع اللوحات يختم (اشوربانيبال ـ ملك العالم) . كذلك كانت تصب اللعنات على كل من يسرق لوحة من المكتبة .

كذلك كانت اللوحات الفخارية تستعمل في تسجيل العقود ، فهناك الوف من العقود سجلت على الفخار ووضعت في اغلفة فخارية . لقد كان سكان وادي الرافدين يصرون على تسجيل العقود وتوثيقها . وكان الكتاب يجلسون في ساحة السوق او قرب بوابة البلد ، وكان الطرفان المتعاقدان يضعان بصمات ابهاميهما على الطين الطري . كذلك كانت العقود تمهر بالاختام ، فقد كان من عادة كل مواطن ان يحمل حول عنقه طوقاً جلدياً ينتهي بختم فخاري صغير هو بمثابة هوية شخصية .

لقد استخدم سكان وادي الرافدين اللوحات الفخارية والكتابة المسمارية مدة تزيد على ثلاثة الاف سنة ، وقد انتشر استعمالها خارج بلادهم ، وكان الحثيون من بين الشعوب التي استعملتها ، وهؤلاء استقروا في اسيا الصغرى ووجد في خرائب عاصمتهم بوغازكوي عدد من المكتبات ودور المحفوظات فيها الكثير من اللوحات الفخارية . كذلك استخدم الحوريون الذين استقروا في سورية (شمال شرق) في الالف الثاني ق.م اللوحات الفخارية مادة كتابية .

ويبدو انهم استخدموا اللغة البابلية لغة للتخاطب الدبلوماسي وذلك بسبب اكتشاف اعداد كبيرة من اللوحات الفخارية المكتوبة بهذه اللغة في عاصمتهم . وفعل نفس الشيء سكان كريت والجزر اليونانية والبر اليوناني . ويبدوا ان العرف كان يقضي باستعمال اللوحات الفخارية واللغة البابلية من اجل التخاطب الدبلوماسي في الشرق القديم كما كانت اللغة الفرنسية لغة التخاطب الدبلوماسي في القرن السابع عشر في اوربا .

ومن وجهة نظر الكتابة والمواد الكتابية فقد ساهم سكان وادي الرافدين مساهمة جليلة في ايجاد المكتبات والسجلات المكتوبة بحيث ان محتوياتها وصلتنا سالمة عبر العصور الطويلة . فقد وجدوا وطوروا اسلوباً كتابياً ، واوجدوا وطوروا مادة للكتابة ، ثم حفظوا هذه المواد المكتوبة في اماكن خاصة نظموها لهذه الغاية هي المكتبات . ويجب الاعتراف ان معرفتنا التاريخية عن تلك الحضارة اتتنا بالدرجة الاولى من اللوحات الفخارية التي حفظت لنا حضارة ثلاثة الاف سنة شبه كاملة ، وانه لولا هذه اللوحات لكانت معرفتنا هزيلة مبتورة ناقصة .

الكتابة والكتب في مصر القديمة :

سبق ان بحثنا تطور الكتابة والخط في مصر القديمة ، ودرسنا بشيء من التفصيل نشوء الخط المصري وتطوره وذكرنا انواعه والمراحل التي مر بها هذا الخط ومميزاته وما شابه ذلك من اعمال . كذلك ذكرنا ان المصريين استعملوا اوراق البردى المصنوعة من نبات البردى الذي كثر وجوده في مياه مصر آنذاك مادة كتابية ، كما وانهم اوجدوا الكتاب الملف اي الكتاب الذي يلف ليصبح شكله على شكل اسطوانة .

وان الفضل في انقاذ معظم ملفات البردى التي وصلتنا يعود في قسم كبير منه ، الى العادة الدينية التي قضت ان يوضع في قبر الميت عدد من النصوص الدينية المقدسة وعدد من الصلوات والادعية وماشابه ذلك ، وذلك لمساعدته وحمايته اثناء رحلته الى الغرب (اي مقر الموتى والارواح) . ومن اهم هذه النصوص كتاب الموتى ، الذي لعب دوراً هاماً في هذا الشأن ، ويرجع تاريخه

والبدء باستعماله الى اوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد تقريباً . وقد تحول نصه بالتدريج حتى اصبح نصاً تقليدياً . ويبدو ان الكهنة بدأوا انتاجه على نطاق واسع بعد فترة ، وتركوا به مكاناً خالياً لتسجيل اسم المتوفى ، وجعلوا منه تجارة شبيهة بتجارة الكنيسة الكاثوليكية وبيعها صكوك الغفران فيما بعد ، وهي الصكوك الشهيرة التي اشعلت شرارة الثورة على الكنيسة بيد لوثر في اوائل القرن السادس عشر . وبيع كتب الموتى هذه ، هو الشكل الوحيد الذي عرفته مصر من اشكال تجارة الكتب ، اذلم يصل الى علمنا عن هذه التجارة شيء آخر غير هذا الاثر .

اما كتب الموتى هذه ، فقد كانت تختلف فيما بينها من حيث روعة تصويرها . والمفترض هو ان هذه الصور ، التي تمثل عبور الموتى الى العالم الآخر حسب الاعتقاد المصري القديم ، كان يرسمها اولاً احد الفنانين ، ثم يضيف اليها الكاتب النصوص اللازمة . وفي اغلب الحالات كانت هذه الصور توضع حول النصوص على طول ملف البردى او في اعلى النص . وتتفاوت هذه الصور فيما بينها تفاوتاً كبيراً من حيث قيمتها الفنية ، وان كانت كلها تشترك في الطراز الذي امتازت به الصور والنقوش المصرية . وتحتوي بعض كتب الموتى صوراً ملونة تتفاوت فيما بينها من حيث فخامة اعدادها وجمال شكلها واتقانها ، ويحتمل ان الفخم منها كان مخصصاً لاغنياء الموتى والعظماء ، على حين كانت عامة الناس تقنع بمنتجات غاية في التواضع والبساطة .

ونحن لانعلم الا النذر اليسير عن الشروط المادية للمكتبات المصرية . ويبدو ان ملفات البردى كانت توضع على رفوف ضمن الغرف ، ولكنا لانعرف شيئاً عن طريقة ترتيب الملفات على الرفوف . ولما كان البردى مادة سهلة التمزق فقد عمل لملفات البردى جلود من البردى نفسه مصبوغ بالارجوان وذلك من اجل حماية الملف . كذلك جلدت بعض الملفات بجلود مصنوعة من القماش او من جلد الحيوان ، على حين ان بعضها الآخر كان يوضع في اوعية فخارية . اما بعض الملفات الثمينة فكانت توضع في وعاء معدني مع المجوهرات والاشياء الثمينة . وقد كتب الرومان على البردى ايضاً وسموا الملف باسمVolumen وهي الكلمة التي اتت منها الكلمة الانكليزية بمعنى جزء وهي كلمةVolume .

كان الكاتب يكتب ، غالباً ، في الهواء الطلق ، ويجلس متربعاً بشكل ان ساقيه متربعان تعارض احداهما الاخرى ، وامامه منضدة منخفضة ويحمل معه اناء فيه قلمان من القصب وماءً يضيفه الى الحبر اثناء عملية النسخ ، والحبر نوعان احمر واسود . وكان الحبر الاحمر يستعمل لبدء فقرة جديدة . وهذه الحروف الحمراء استعملت في تزيين المخطوطات التي نسخت في العصور الوسطى ، وتستعمل احياناً في طباعة بعض الكتب الجميلة الرائعة في عصورنا الحديثة . وقد تم انتاج الحبر الاسود من مزج الهباب بالصمغ ، ونتج عن هذا المزج حبر جيد كل الجودة ظل لونه رائقاً ولامعاً حتى الآن ، على الرغم من مضي الاف السنوات منذ استعماله لاول مرة . وهناك كثير من الصور تمثل الكاتب المصري يحمل قلماً على كل من اذنيه ، واحد من اجل الحبر الاحمر وآخر من اجل الحبر الاسود . وكان القلم المصنوع من الغاب مبرياً بشكل أنه نصف فرشاة ونصف قلم في آن واحد .

وكان الكاتب يكتب المواد على الملفات في صفحات كما يلي :

xxxxx	xxxxx	xxxxx	xxxxx	xxxxx
xxxxx	xxxxx	xxxxx	xxxxx	xxxxx
xxxxx	xxxxx	xxxxx	xxxxx	xxxxx

كذلك كانت الملفات ترتب بطريقة معينة وذلك عندما يكون عددها كبيراً ، وان كنا نجهل كل شيء عن هذه الطريقة ، وذلك من اجل سهولة تداول الملفات وإحضار الملف الصحيح في زمن معقول . ولقد وجد في بعض المكتبات الكبرى لائحة باسماء الكتب الموجودة في غرفة المكتبة ملصقة على جدار المكتبة من الخارج .

وعلى الرغم من ان ورق البردى كان المادة الرئيسية للكتابة في مصر القديمة وظل يستعمل طوال عهود التاريخ المصري كمادة لكتابة الكتب ، الا انه استعملت مواد اخرى . فقد استعمل القوم اللوحات الفخارية . ولعل اهم مجموعة منها هوماكتشف في تل العمارنة . ذلك ان امرأة اكتشفت لوحة فخارية قرب تل العمارنة وادى ذلك الى اكتشاف لوحات فخارية في ذلك المكان فنسبت اليه . انه

لمن الغرابة بمكان ان نجد لوحات فخارية في مملكة يكتب اهلها بالهيروغليفية ويستعمل البردى مادة كتابية . ان هذه اللوحات التي كتبت بالمسمارية وارخت بحدود سنة ١٣٥٠ ق.م هي سجل لمراسلات دبلوماسية بين حكام بابل وفرعون مصر آنذاك امنحوتب الرابع الذي عرفه التاريخ باسم آخناتون . ذلك ان هذا الفرعون نقل العاصمة من طيبة الى تل العمارنة واسماها باسم اخيت آتون ، وكان له علاقات دبلوماسية واقتصادية مع عدد من حكام سورية وبلاد الرافدين واسيا الصغرى . وهذه اللوحات هي مراسلات بينه وبينهم . ومن جملة الموضوعات المطروقة بين الطرفين موضوع الذهب الذي يستخرج من سينا والحاح هؤلاء الحكام (اي حكام سورية وبلاد الرافدين) في الحصول عليه ، ويذكر بعض هؤلاء الحكام ان الذهب موجود في مصر بكثرة شبيهة بكثرة الغبار على الارض . واستعمل قدماء المصريين جلد الحيوان مادة كتابية وظل يستعمل فترة طويلة لكتابة الأشياء المهمة . وكتب قدماء المصريين أيضاً على لوحات الشمع أو على رقاق الخشب . ولا حاجة للتنويه أنهم رسموا وكتبوا كثيراً وكثيراً جداً على جدران المعابد والقبور والمسلات .

ولقد استعمل القوم في سورية ، أو في بعض اجزائها على الأقل ، اللوحات الفخارية مادة كتابية ، كما هو الحال عليه في المكتبتين اللتين اكتشفتا في رأس الشمرة (وهي مملكة كنعانية قديمة ازدهرت في الألف الثاني ق.م وتقع شمالي مدينة اللاذقية الحالية في سورية) . فقد وجد في منزل الكاهن الأكبر مكتبة وفي القصر الملكي مكتبة . فقد وجدت في القصر الملكي لوحات فخارية هي عبارة عن مجموعة من رسائل دبلوماسية ومعاهدات وقوانين وشرائع . كذلك وجد ضمن هذه المجموعة بعض اللوحات التي تحوي معلومات تاريخية (وخاصة تواريخ حملات عسكرية) وبعض النصوص التجارية ومعجم باللغتين الاوغاريتية والسومرية . ويبدو أن هذه المكتبة كانت مكتبة الملك نيجمدnigmed الرسمية .

وعلى الرغم من أن المعلومات كتبت بخط مسماري وعلى لوحات فخارية ، إلا أن اللغة هي لغة اوغاريتية (وهي لغة مشتقة من الكنعانية واستعملت في كتابتها الألفبائية التي اكتشفها سكان تلك المنطقة) .

أما مكتبة كبير الكهنة فقد كانت مكتبة دينية في معظم محتوياتها فقد كانت تحوي أعمالاً وكتابات دينية وأساطير متعلقة بديانة أهل اوغاريت ، ولكن وجد الى جانب ذلك بعض الكتابات في الملاحم والسحر والتاريخ والطب والعلوم . ووجد ضمن هذه المجموعة معاجم متعددة اللغات .

ومن المهم أن نذكر أنه وجد بين النصوص الدينية المكتشفة في اوغاريت نصوص تشابه مشابهة تامة ، في اسلوبها ومحتوياتها ، لبعض أقسام من كتابات العهد القديم .

الكتابة والكتاب لدى اليونان والرومان :

لقد بحثنا في فصل سابق التعبير بلاد اليونان وذكرنا أنها البلاد التي سادت فيها اللغة اليونانية والحضارة اليونانية والمفاهيم اليونانية وأن ذلك امتد على منطقة شاسعة من الأرض تشمل بلاد اليونان الأصلية وجزائر البحر الايجي وبلاد الأناضول وبلاد الشام ومصر وغيرها من الجزائر الموجودة في البحر الأبيض المتوسط كجزيرة كريت وجزيرة قبرص وصقلية وجنوبي ايطاليا . كذلك امتد العهد اليوناني مدة طويلة من الزمن تبدأ من القرن السابع ق.م حتى القرن الأول الميلادي .

ولقد ورث الرومان البلاد اليونانية والحضارة اليونانية وأسسوا امبراطوريتهم التي شملت مع مطالع التاريخ النصراني ، حوض البحر الأبيض المتوسط بكامله ، مع أجزاء كبرى من اوربا تشمل فرنسا الحالية وقسماً مهماً من المانيا وانكلترا والبلقان بكامله .

ولقد ورث الرومان الحضارة اليونانية ارثاً يكاد يكون كاملاً ، وتأثروا بهم أكثر مايكون التأثر في حقول اللغة والأدب والفكر والفلسفة ، ومن جملتها المكتبات والكتب والكتابة .

ولقد ذكرنا كيف أخذ اليونان الأبجدية الفينيقية وكيف طوروها ونشروها وما ادخلوا عليها من اصلاحات وماأضافوا اليها من اضافات . وذكرنا المواد التي استعملوها والمحنا مجرد الماح اليها وتطرقنا لشكل الكتاب لديهم ، والآن ننتقل لبحث الكتاب وتطوره في العصر اليوناني .

استعمل اليونانيون في كتابة كتبهم مواد كثيرة لعل أهمها :

١- أوراق البردي :

يمكن القول أن لفافات البردي قد بدأ ظهورها في بلاد اليونان في القرن السابع ق.م . وقد كانوا يستوردونه من مصر ، وقد تزايد استعمال ملفات البردي ، وبالتالي استيرادها من مصر حتى أصبح شائع الاستعمال شيوعاً تاماً في القرن الخامس ق.م . هذا وان عدم ذكر هيرودوتس المؤرخ اليوناني لملفات البردي اثناء وصفه مصر ، قد يكون دليلاً كافياً على أن استعمال هذه الملفات كان أمراً عادياً في عهده ولا حاجة للتنويه به أو ذكره .

وقد اطلق اليونان على ورق البردي الخام المستخدم في الكتابة اسم خارطيس ، ومنها أتت كلمة قرطاس في اللغة العربية للدلالة على المادة التي يكتب عليها وهي الورق . ثم أخذها الرومان عنهم واسموها باسم كارتاchartaومنها اشتقت كلمةcarte أي خارطة .

ولقد اطلق اليونانيون على ملفات البردي التي هي بمثابة الكتب في أيامنا هذه اسماً ذا دلالة هو كلندروسkylindros أي الأسطوانة ، لأن الملف يلف حتى يأخذ شكل الأسطوانة ، ولقد اطلق الرومان على نفس الملف اسم فولومنvolumenومنها أتت كلمةvolume المستعملة حالياً في اللغة الانكليزية للدلالة على اي جزء من الاجزاء المنفصلة للكتاب الواحد . كذلك استخدم الهيلينيون كلمة توموسtomos واستعمل الرومان من بعدهم كلمة توموسtomus للدلالة على ملف البردي المؤلف من سلسلة من الأجزاء المتصلة والملتصقة بعضها ببعض .

هذا وإن أقدم أوراق بردي يونانية معروفة لنا يعود تاريخها إلى القرن الرابع ق.م ، ولا يزال خطها محتفظاً بوضوح الشكل الذي كان عليه في العصور السابقة . ولم يبق من ملفات تلك الفترة إلا النذر القليل حتى أنه يصعب الوصول الى نتائج عامة بالاستناد الى دراستها . ولا تبدأ معلوماتنا في الازدياد والاستقرار إلا منذ القرن الثالث ق.م ، وذلك بسبب الكشوف الغنية من ملفات البردي اليونانية التي عثر عليها في كل من مصر وآسيا الصغرى بصفة خاصة خلال القرن التاسع عشر .

ولقد اكتشف في هذين القطرين ، بشكل خاص ، وفي أماكن أخرى من العالم اليوناني بشكل عام ، اعداد غفيرة من ملفات البردي ، وأن أكتشاف هذه الاعداد الغفيرة في ذنيك القطرين يدل على ازدهار حركة التأليف وازدهار الحياة العقلية في القرن الثالث ق.م . ونحن نعلم أن الحياة العقلية وصلت الى مستوى رفيع جداً في الشرق وبشكل خاص في كل من مصر وآسيا الصغرى في القرن الثالث ق.م . وقد نشأ من تفاعل الفكر اليوناني مع الفكر الشرقي فكر جديد اسمه الفكر الهيلنيستي أي الفكر اليوناني المتأثر بالفكر الشرقي . وكذلك تلك الحضارة باسم الحضارة الهيلينستية . ولقد أصبحت الاسكندرية في عهد البطالمة العاصمة الفكرية لهذه الحضارة وجذبت اليها العلماء والبحاثة من كل مكان . وقد أسس البطالمة مكتبة الاسكندرية الشهيرة وجعلوها مركزاً ثقافياً رفيعاً ومركزاً للبحث والدرس والتأليف . وقد تقاطر العلماء والبحاثة الى المكتبة يحملون اليها مؤلفاتهم وأعمالهم كما فعل اقليدس وبطليموس كلوديوس الفلكي والجغرافي الشهير إذ أنه احضر الى مكتبة الاسكندرية نموذجاً يبين دوران الافلاك وفيه اظهر ان الشمس والسيارات تدور حول الارض ، إذ الأرض ، في رأيه ، هي مركز النظام الشمسي . وقد ظلت نظريته هذه حية حوالي ١٤٠٠ سنة .

ولقد حاول البطالمة أن يجمعوا في مكتبتهم تراث الانسانية بعامة والتراث الهيليني بخاصة واستعملوا البردي مادة أساسية للكتابة ، وامتلأت مكتبتهم بالمخطوطات . وكانوا يهدفون لايجاد عدد من النسخ من كل كتاب يصل الى ايديهم ، وكانوا يوزعون محتويات المؤلفات الهامة الطويلة على عدة ملفات متساوية

الطول ، مع اعتبار بدايات ونهايات الفصول ، كما فعلوا في كتابي الالياذة والاوديسة لهومر . وكانت تجمع النصوص القصيرة في ملف واحد . وقد يدل ذلك على نزعة لاتخاذ طول معين محدد للملفات حسبما جرى عليه المكتبيون .

ولقد حفظت الملفات في علب شبيهة بعش الحمام مثبتة على الحائط ، وقد وضعت ملفات كتاب واحد في صندوق معين ، وكانت تتدلى من نهايات الملفات بطاقات ارجوانية صغيرة ، وهي تميز كل ملف عن غيره بالعنوان والسطر الأول . وقد رتبت المواد في المكتبة بموجب تصنيف ذي خمسة رؤوس موضوعات هي : الشعر والتاريخ والفلسفة والخطابة ومنفرقات . وهذا التصنيف هو نفس التصنيف الذي اتبعه ارسطو في مكتبته الخاصة .

وقد توسع التصنيف مع توسع المكتبة وزيادة محتوياتها حتى أصبح عدد رؤوس موضوعاتها ينوف على ١٢٠ ، وكانت جميع الملفات مفهرسة بموجب العنوان وعدد الأسطر والكلمات الأولى ، وإذا كان ممكناً اسم المؤلف .

كذلك اصدر البحاثة في مكتبة الاسكندرية ما يعتبرأول سجل بيبلوغرافي لجميع الادب المخطوط المعروف في العالم القديم ، ويقال أن هذا السجل البيلوغرافي المسمى باسم بيناكس احتاج الى ١٢٠ ملفاً من البردي .

شكل الكتاب اليوناني وكتابته :

لم تصلنا بردية بحالة كاملة ، ولكن يبدو أنه قد استخدم ، بصفة عامة ، ملفات طولها بين ستة أمتار الى سبعة . واذا ماطوى المخطوط أو لف فانه يأخذ شكل اسطوانة يتراوح قطرها بين خمسة الى ستة سنتمترات ، ويسهل الامساك بها . وقد ندر ان زاد طول ملف البردي عن عشرة امتار . أما عرض الملف فقد اختلف كذلك . ولكن ظهرت نزعة تميل الى التوحيد والاحتفاظ بعرض ثابت معترف به للملفات ، وقليل من البرديات، التي وصلتنا يزيد عرضها على ثلاثين سنتمتراً ، واغلبها يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ سم . وهناك ملفات عرضها بين ١٢ و ١٥ سم . كذلك كانت مساحة الجزء المكتوب من ملف البردي تختلف من ملف الى آخر . فقد كانت الهوامش المتروكة في المخطوطات الفاخرة أهم وأوسع وأكبر

من مثيلاتها في المخطوطات العادية . وكان ارتفاع عمود الكتابة إما ثلثي أو خمسة أسداس ارتفاع الملف ، كذلك تختلف المسافة بين عمود وآخر بنفس النسبة . ولم تكن المسافات بين السطور محددة بل كانت متفاوتة تفاوتاً كبيراً حتى في المخطوط الواحد ، حتى أن بعض الاعمدة كان يحوي سطوراً أكثر من غيره . وبصورة عامة كان طول العمود أكثر من عرضه .

وكانت الحروف الكبيرة تستعمل دون غيرها في المؤلفات الأدبية ، علماً أن الحروف اليونانية الصغيرة لم تظهر إلا في العصور الوسطى . ولم تترك مسافات تفصل بين الكلمات ، مما أدى بطبيعة الحال الى صعوبة القراءة . وقد جرت العادة أن توضح نهايات الفقرات بعلامات مميزة تسمى باراغرافوسparagraphos ، وهي عبارة عن شرطة توضع تحت بداية آخر سطر من الفقرة . ولا تزال كلمة باراغراف تستعمل للدلالة على اجزاء النص .

أما الكتابة في المخطوطات ، فكانت خطاً مجوداً من نوع معين يتعلمه الكاتب أو الناسخ ، واتخذت بالضرورة طابعاً شخصياً يختلف من كاتب الى كاتب . وكانت الأحرف تكتب منفصلة بعضها عن بعض . أما الكتابة العادية السريعة غير المجودة فقد استخدمت في الحياة العادية .

وكان الكتاب يكونون طبقة كبيرة مثقفة ، كما كانت اجورهم تدفع لهم بموجب عدد الاسطر التي ينسخونها ، ويبدو أن هناك طولاً معيارياً معترفاً به للسطر الواحد يحاسب بموجبه الناسخ ، كما وان جمال الخط ووضوحه وخلوه من الأخطاء كل هذه عناصر تؤخذ بعين الاعتبار عند احتساب أجر الناسخ . وكانت تعاد قراءة المخطوط بعد الفراغ من كتابته لتصحيحه ، وكان الناسخ نفسه يقوم بهذه المهمة ، وكان الناسخ نفسه يقوم بهذه المهمة ، أو يعهد الى مدقق من طراز معين ليكشف اخطاء الناسخ ، وقد يضيف في الهوامش بعض الملاحظات النقدية شرحاً للنص ، أو يضع بعض الرموز الخاصة (كالنجمة مثلاً أو غيرها) للفت نظر القارىء الى خصائص الاسلوب أو بعض الامور المهمة التي تحتاج الى توضيح . وكانت الملفات الثمينة تجلد بغلاف اسود من البردي .

العنوان والصور التوضيحية :

إن أقدم ملفات البردي اليونانية لاتحمل عنواناً ، وكانت تميز عن بعضها بعضاً بواسطة بيان مؤلفها وأول كلمة من نص العمل الموجود بها ، كما فعل كاليماخوس أمين مكتبة الاسكندرية الشهير في القرن الثاني ق.م في فهرسه المسمى باسم بيناكس . وكانت هذه المخطوطات المسجلة على ملفات البردي ـ بعد لفها على شكل اسطوانة ووضعها بجانب بعضها أو في الكوات المخصصة لها أو الاوعية المخصصة لها ـ تثير صعوبات في تمييزها عن بعضها بعضاً ، وذلك بسبب عدم وجود عنوان واضح على هذه الملفات . وقد فكر القائمون بالاشراف على هذه الملفات بايجاد طريقة لتمييز هذه المخطوطات ، فهداهم تفكيرهم الى وضع نوع من البطاقات على حافاتها العليا . وقد اطلق الرومان على هذه البطاقات اسم تيتولوسTITULUS أو اندكس INDEX ، على حين سماها اليونان باسم سيلليبوسSyllibos وقد كانت الاوعية المخصصة لحفظ ملفات البردي عبارة عن حوافظ مصنوعة من الخشب أو الحجارة وقد اطلق عليها اليونانيون اسم بيبليوثيكسBibliothekes ، وهي كلمة مالبث ان توسع معناها واستعمالها كل التوسع حتى اصبح معناها يفيد مجموعة من الكتب أو مكتبة . أما الرومان فقد اسموا هذه الحوافظ باسم كابساCapsa ، ومنها أتت كلمةCase الانكليزية وتعني وعاءً .

أما الصور التوضيحية فيبدو أنها لم تكن نادرة في ملفات البردي اليونانية والرومانية ، وإن لم يصل إلينا منها الا العدد القليل الذي تدور موضوعاته حول الرياضيات وغيرها من الموضوعات المشابهة ، وعلى الغالب كانت صورة المؤلف ترسم في كثير من الحالات على مفتتح المخطوط .

تجارة أوراق البردي والكتب في العصور القديمة :

استخدم الاغريق كمية ضخمة من البردي ، ومن بعدهم الرومان الذين أخذوا ، دون شك ، عن الاغريق استعمال ملفات البردي ضمن ماأخذوه عنهم من أساليب الحضارة الاخرى .

وظهر في السوق تدريجياً عدد كبير من أصناف البردي عرف بعضها باسماء أباطرة الرومان ، إذ كان منها مايسمى باسم ملفات اوغسطس وملفات كلوديوس وغير ذلك .

كذلك تأسست في روما ، في أواخر عصر الامبراطورية الرومانية ، مصانع كانت تستورد من مصر نبات البردي الخام ، حيث كان يصنع منه حزم من الأوراق . كما يحتمل أن البطالمة كانوا يتقاضون ضريبة باهظة لقاء تصدير هذا البردي ، ثم احتكروا تجارته فيما بعد ، وكانت أول ورقة من حزمة البردي تسمى باسم بروتوكولProtocole ، كما كانت تختم بنوع من الأختام الرسمية . وقد ظل احتكار تجارة أوراق البردي مستمراً حتى الفتح الإسلامي لمصر .

ولقد انتشرت تجارة الكتب في العالم اليوناني منذ عهد مبكر موغل في القدم ، فهناك اشارات هنا وهناك ، إلى أنه كان في اثينا في القرن الخامس ق.م مخازن لتجارة الكتب . ونحن نعلم مم ذكره كزينوفونXenophon في كتابه آناباسAnabase أنه كان يوجد تجارة للكتب بين اثينا ومستعمراتها اليونانية المنتشرة في شواطىء آسيا الصغرى الغربية والبحر الايجي وجنوبي ايطاليا وصقلية وغيرها من الاماكن . ولكن تجارة الكتب ازدهرت بشكل ملحوظ في العصر الهلنستي وخاصة في مصر . ويعود الفضل في ذلك الى مكتبة الاسكندرية التي أصبحت مركزاً مهماً من مراكز تجارة الكتب في العالم الهلنستي . ذلك أن هذه المكتبة كانت تشتري كمية ضخمة من الكتب ، وكان وكلاء ملوك مصر ورسلهم يجوبون أرجاء العالم المعروف آنذاك بحثاً عن المخطوطات لشرائها وارسالها إلى مصر ، كما وأن مكتبة الاسكندرية كانت تحوي نسبة عالية من المخطوطات الممتازة ، وحتى الفريدة ، مما جعلها تنسخ منها نسخاً كثيرة وتبيعها .

ومن أقدم مجموعات البردي اليونانية والرومانية المجموعة التي وجدت في خرائب مدينة هيركولانوم في جنوبي ايطاليا ، ذلك أن بركان فيزوف ثار ثورة جامحة سنة ٧٩ م وغطى بحممه والرماد المتصاعد منه مدينتي هيركولانوم وبومبي الايطاليتين . وقد تم الكشف عن خرائب مدينة هيركولانوم في القرن الثامن عشر ، ووجد فيها مايقارب ١٨٠٠ ملفاً من ملفات البردي ، بعضها تالف

وبعضها بحالة لابأس بها ، وهي محفوظة الآن بالمكتبة الأهلية في نابولي ، وقد سميت هذه المجموعة من الملفات باسم (دارة البردي) . وهناك مجموعات أخرى مهمة من ملفات البردي اليونانية والرومانية في عدد من مكتبات ومتاحف العالم ، كما هو الحال مع مجموعة الأمير رينر المحفوظة في المكتبة الأهلية في فيينا إذ تقارب المجموعة ٨٠٠٠ ملفاً ، وتوجد ملفات أخرى في متحف الدولة في برلين وفي المتحف البريطاني في لندن وفي المكتبة البودلانية في جامعة اكسفورد وفي المتحف المصري في القاهرة .

الرقوق والجلود واستعمالها للكتابة :

سبق أن ذكرنا في فصل سابق أن البردي تعرض ، في القرن الثالث ق.م ، لمنافسة مادة كتابية جديدة هي جلود الحيوانات ، وعلى الرغم من أن استعمال جلود الحيوانات مادة كتابية قديم وموغل في القدم ، إلا أن استعماله بكثرة حتى حل محل البردي ، وبشكل فني بدأ منذ القرن الثالث ق.م وفي مدينة برغامم التي أعطته اسمها .

ومن الواضح أنه كان من اليسير طي جلد الرق بنفس طريقة ورق البردي ، وذلك بجعله ملفاً على شكل اسطواني ، وإن كان الجلد أقل منه مرونة . ولاريب في أن الكتب الأولى التي سجلت على الجلود كانت على شكل ملفات ، وأنها كانت تقليداً تاماً ومحاكاة كاملة لكتب البردي ، ويبدو أن ذلك عائد إلى مجرد التقليد أو بحكم العادة . وعلى الرغم من عدم عثورنا على ملف جلدي واحد ، سواء أكان يونانياً أم رومانياً ، إلا أنه لدينا أدلة كافية تثبت أن أوائل الكتب على الجلود والرقوق كانت على شكل ملفات . كذلك استعمل اليهود مثل هذه الكتب الجلدية على شكل ملفات ، ولايزالون يستعملونها الى اليوم في كتابة كتبهم المقدسة . هذا وأن طول الملف المصنوع من الرق كان خاضعاً لطول جلد الحيوان المستعمل ، وإن كان من المستطاع توصيل أو خياطة أو حياكة عدة أجزاء من الرق بعضها مع البعض بحيث يمكن أن تجعل منها ملفات جلدية أطول . كذلك استخدم الرق في تجليد لفائف البردي ، وربما كان هذا أول تاريخ لنشأة تجليد الكتب في العالم .

ولما كان استعمال الرق مادة كتابية وذيوعه وانتشاره حتى عم أرجاء العالم القديم قد تم في عهد الرومان وسيادتهم وانتشار نفوذهم في أرجاء العالم القديم ، لذلك سنرجىء بحث استعمال الرق مادة كتابية لدى اليونان والرومان ، وبشكل خاص ظهور الكتاب الكراس وحلوله محل الكتاب الملف ، الى العهد الروماني حيث سنبحث هذا الموضوع بشكل موسع بعض التوسع .

الكتابة والكتاب لدى الرومان :

سبق أن حددنا في الصفحات الماضية الامبراطورية الرومانية والمجال الذي انتشرت فيه هذه الامبراطورية ، كذلك سبق أن ذكرنا أن الرومان تأثروا كل التأثر باليونان وتبنوا حضارتهم ، وبشكل خاص النواحي الثقافية والعقلية والفكرية ، وقد اختلطت الحضارتان بشكل يصعب الفصل بينهما .

الألفبائية واستعمالها لدى شعوب شبه الجزيرة الايطالية :

لايعرف إلا النذر اليسير عن الكتابة التي كان يستعملها سكان ايطاليا القدماء . وقد سكن ايطاليا في أقدم عهودها عدد من الشعوب منها الاتروسكيون واللاتين والرومان. . . ولسنا بصدد دراسة الصراع الذي دار بين هذه الشعوب حتى انتهى الى سيطرة الرومان على شبه الجزيرة الايطالية سيطرة تامة ، ومن ثم بدأ غزوهم للعالم المعروف آنذاك واستعمارهم له . تذكر التقاليد والمأثورات أن سكان المستعمرة اليونانية كوماCumae قرب نابولي هم أول من أدخل الألفبائية اليونانية الى ايطاليا ، وأخذها عنهم الاتروسكيون الذين كانوا آنذاك أقوى شعب في ايطاليا ، وكان ذلك أواسط القرن السابع ق.م. هذا وإن أقدم دليل على وجود الفبائية استعملها الرومان هي لوحة من العاج مزينة بشمع من أجل تسهيل الكتابة ويعود تاريخها الى أوائل القرن السابع ق.م وتحمل دلائل على وجود الفبائية ذات ٢٥ حرفاً . هذا وقد تمكن الرومان سنة ٥٠٩ ق.م أن يزيحوا الاتروسكيين ويبدأوا دور حكمهم اللاتيني في ايطاليا والذي قدر له أن يصبح أهم دور في حياة ايطاليا كلها وأوربا الغربية وأدى ذلك إلى تأسيس الامبراطورية الرومانية . وقد حمل

الرومان معهم الالفبائية الرومانية ونشروها في كل صقع حلت فيه جيوشهم من انكلترا الى شواطىء الفرات . هذا وتظهر الأحرف في اللوحة سابقة الذكر مرتبة من اليمين الى الشمال . بعد ذلك اتخذت الكتابة اتجاهين متعاقبين من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين ثم تثبت الاتجاه من الشمال الى اليمين .

ولقد بسط الرومان شكل الأحرف الهجائية اليونانية حتى جعلوها واضحة سهلة القراءة ، فقد غيروا شكل بعض الأحرف وعدلوا في بعضها الآخر وغيروا في ترتيبها ولكن لم يضيفوا إليها أحرفاًجديدة . وقد أطلق الرومان صوتاً واحداً لكل حرف من أحرف الالفبائية عوضاً عن الكلمة التي كان يسمى بها اليونانيون الحرف ، مثلاً أ من أجل ألف ، ب من أجل باء وهكذا . كذلك انقص الرومان عدد الحروف حتى جعلوها ٢٣ حرفاً . والرومان هم الذين أوجدوا حروف التاج الكبيرةCapital ، ولم يستعمل الرومان حتى ظهور المسيحية سوى الحروف الكبيرة المجسمة ، وهي أحرف كبيرة مجسمة جميلة وأشهرها الحروف الكبيرة المربعة (وتسمى أيضاً الأثرية لأنها تنقش على الآثار) .

ولقد ازدهر الأدب اللاتيني في القرن الثاني الميلادي فيما بعد بشكل ملحوظ ، كما بدأ ظهور نوع من الكتابة الخاصة بالمخطوطات تختلف عن الكتابة السريعة العادية ، وهي نفس الظاهرة التي حدثت في بلاد اليونان كما ذكرنا آنفاً .

ولقداتصفت هذه الكتابة اللاتينية الكبيرة بانعدام المرونة وهي كتابة كبيرة ذات احرف حادة وزوايا قائمة متعددة . وقد استعملت هذه الاحرف اول مااستعملت ، في كتابة بردية اكتشفت في هيركولانوم .

ولقد بسط الرومان حروف التاج الكبيرة هذه ، وذلك من اجل الاستعمال اليومي السريع فاوجدوا خطاً مبسطاً من حروف التاج هو مايسمى Rustic ويمتاز بحواف اصغر وبخط افقي يرسم بشكل أثقل واغلظ من الخطوط الرأسية ويمكن كتابته متصلاً او منفصلاً ، ولذلك كان من الممكن كتابته بشكل اسرع بكثير من حروف التاج .

ولقد تطور الخط المبسط المذكور اعلاه ، في العصور المتأخرة واشتق منه خط آخر اسمهUncial او الخط المدور او الدائري . ان هذا الخط كان اصغر من سابقه واكثر تدويراً وكان يسمح بحرية اكبر في الكتابة وبسرعة اكبر . وقد كتبت مؤلفات اوائل المسيحيين بهذا الخط على حين ظل الوثنيون يكتبون مؤلفاتهم بحروف التاج الكبيرة .

وقد بلغت الكتابة اللاتينية اقصى تطورها منذ القرن الرابع الميلادي ـ حيث تثبتت على حالها ككتابة خاصة بالمخطوطات ـ الى نهاية القرن الثامن . وقد وجد في هذين الخطين بعض الاختصارات ، كما كانت عليه الحال في الكتابة الاغريقية . وقد انتشرت هذه الخطوط اللاتينية واللغة اللاتينية في اوربا بواسطة الحروب والاستيطان ، وعلى الرغم من حدوث بعض التغيير والتطور في شكل الاحرف الكتابية ، الا انه قليل بحيث يمكن القول ان شكل الاحرف الهجائية اللاتينية تثبت كما كان عليه حتى عهدنا الحاضر ، مع بعض الاستثناءات القليلة .

ظهور الكتاب الكراس غير الملفوف ذي الصفحتين المتقابلتين :

يعتبر ظهور الكتاب غير الملفوف نتيجة ثانية من نتائج استعمال الرقوق مادة للكتابة . ذلك انه بالرغم من اعتياد الاقدمين استعمال الكتب المطوية على شكل ملفات ، الا ان مساوىء هذا النوع من الكتب ، وخاصة من ناحية التداول اليومي لها ، كثيرة وواضحة . وهناك عيب جوهري اساسي من هذه العيوب ، وهي ضرورة طي ولف الكتاب في اتجاه عكسي بعد قراءته الاولى ، اذا ما اريد قراءته مرة اخرى . وكانت هذه العملية صعبة للغاية حتى في حالة استعمال عصا خاصة كانت تلصق باول ملف البردى للمساعدة على نشر الملف وطيه . وقد ادى ذلك دائماً الى تلف كبير وملموس بالنسبة للملفات المقروءة بكثرة . وقد كان ذلك صحيحاً بالنسبة للبردى ، اما بالنسبة للرق فقد كان الامر بالعكس . ذلك ان الاغريق الذين لمسوا مساوىء الملفات حاولوا تجنب ذلك مع الرقوق ، وهم في هذا السبيل رجعوا الى تقليد قديم في تاريخهم . فمن المعروف ان الاغريق كانوا

يستعملون من عصورهم التاريخية ، الواحاً صغيرة من الخشب ، مغطاة او غير مغطاة بطبقة رقيقة من الشمع كانوا يكتبون عليها كتابات موجزة بقلم معدني يسمى ستيلوس ، وكذلك كان تلاميذ المدارس في تعلمهم الكتابة يستعملونها ، وكثيراً ما كانوا يجمعون لوحين او اكثر من هذه الالواح في مجموعة واحدة ، وذلك بربطها بخيط متين وجعلها رزمة واحدة ، او بايجاد ثقوب في الالواح مقابلة بعضها بعضاً وادخال سيور من الجلد في الثقوب مما يؤدي الى ربط الالواح وعدم تفرقها ، وجعلها كراسات صغيرة . وقد شاع استعمال هذه الكراسات لدى التجار والكتاب لتحرير ملاحظات مؤقتة عليها .

اما بعد انتشار استعمال الرق في صناعة الكتب ، فقد خطر للناس ، بالطبع ، ان يجعلوا للرق الشكل الذي كانت عليه الالواح الخشبية . وقد تم ذلك في اوائل عهد الامبراطورية الرومانية . وقد اطلق على هذا الشكل الجديد للكتاب الجلدي المسطح ذي الكراريس المتعددة والصفحتين المتقابلتين اسم Codex اي الكراس . وقد ظل دون تغيير يذكر بعد ان تغلب على غيره من اشكال الكتاب ، حتى ايامنا هذه .

ولابد ان نذكر انه وجدت اشكال اخرى للكتب ـ غير الملف والكراس ـ في اجزاء اخرى من العالم . فقد استخدم البوذيون في اقسام من اسيا شكل الاوكورديون في انتاج الكتب ، ولازال من الممكن وجود هذا الشكل من الكتاب في اقسام من صحراء التيبت . كذلك وجد في بعض اجزاء من جنوب شرقي آسيا كتب كتبت على شريط ضيق من اوراق النخيل وقد كتب على وجهيها وقد قويت من جانبيها .

هذا وان اقدم مخطوط يوناني مكتوب على الرق وبشكل الكتاب الكراس يعود تاريخه الى سنة ١٨٩ م ، وقد وصلتنا منه بضع صفحات من الكراريس . وقد اكتشف سنة ١٩٢٣ م في خرائب مدينة دوراوروبس الواقعة على الفرات في سورية . ولاجدال في ان هناك عدداً من العوامل ساعدت كل المساعدة في ظهور الكتاب الكراس وانقراض الكتاب الملف . ذلك ان الكتاب الكراس جعل استعمال الكتاب والرجوع اليه اسهل بكثير مما هي عليه الحال في الكتاب الملف .

كذلك أدى هذا بالتالي إلى إطالة عمر الكتاب كثيراً نتيجة لتحمل الجلد الاستعمال .
العنيف على العكس من البردى الذي هو سهل التلف والتمزق والتفتت ، وهذا عامل مهم جداً ولاسيما بالنسبة للاعمال الضخمة مثل اعمال هومر . اضف الى ذلك امكان استعمال وجهي الرق للكتابة بعكس البردى وامكان كشط الرق المكتوب عليه والكتابة عليه من جديد ، وهذا مستحيل في حالة البردى . كما وان استعمال الكتاب الكراس المصنوع من الرق ساعد في كبر حجم الصفحة وافسح المجال لادخال وسائل الايضاح في النص وادراج الملاحظات الجانبية والتعليقات الهامشية التي هي مهمة كل الاهمية للباحثين .

وكانت مخطوطات الرق تستعمل في صناعة كتب صغيرة ورخيصة ، نتيجة لامكان الكتابة على وجهي صفحة الرق ، ولانه كان بالامكان ان يتضمن مخطوط (صغير الحجم نسبياً) نصاً قد يتطلب ملفاً طويلاً من البردى اوعدداً من الملفات .

وقد عثر في مصر ، في القرون الاخيرة واثناء قيام العلماء بعدد كبير من الحفريات المتتابعة ، على مخطوطات ترجع الى القرون الثاني والثالث والرابع ميلادية ، وهي في شكل الكتاب الكراس ، مما يدل على ان شكل الكراس قد تغلغل في وقت مبكر حتى في موطن ومعقل ملفات البردى الاصلي ، وقامت في مصر محاولات لاتخاذ شكل الكراس لكتب البردى . ولقد وجد عدد كبير من المخطوطات البردية المكتوبة بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين ، على ان هذا الشكل الجديد لم يكن في الواقع يتفق تماماً مع اوراق البردى فظل استعمال الملفات البردية سارياً جنباً الى جنب مع الكراس ، الى ان اندثر الشكل والمادة معاً .
ونجد المخطوط الجلدي على شكل الكراس هو الغالب في مكتشفات القرن الرابع الميلادي ، وبقي هو الشكل الوحيد منذ القرن الخامس الميلادي ولم يعد له منافس .

وقد عملت النصرانية كثيراً من اجل نشر واستعمال الكتاب الكراس المصنوع من الرق . وقد اصبح الرق مادة الكتابة الرئيسية خلال القرون الوسطى .

فقد لوحظ ان النصرانية من البداية دين كتب ، ذلك ان عقيدتها وتعاليمها تعتمد على التوراة والاناجيل وكتابات آباء الكنيسة وكتب الخدمة . ولذلك ظهرت المكتبات اول ظهورها في الكنائس . وقد اهتمت النصرانية بتغيير شكل الكتاب ، ذلك التغيير الذي بدأ في القرن الاول ميلادي وتوطد في القرن الثاني ، وهو الغاء شكل الكتاب القديم المتمثل في الملف واحلال الكتاب الحديث محله وهو الكتاب الكراس . هذا ، والى جانب صعوبة استعمال الملف وسهولة استعمال الكتاب الكراس ، وتحمل الرق اكثر من تحمل البردى وما ماثل ذلك من مميزات الرق وشكل الكتاب الكراس في مواجهة البردى وشكل الملف ، هناك سبب رئيسي لتبني اوائل المسيحيين شكل الكتاب الكراس وهو ارتباط الملف بالادب الوثني ، ولما كانت النصرانية قد شنت -حرباً لاهوادة بها ضد الوثنية واراد اوائل النصارى اقتلاع الوثنية من قلوب الناس ، فقد ارادت تغيير كل ما يمت الى العصر الوثني بصلة ومن جملتها شكل الكتاب . لذا فان اقدم الكتابات المسيحية كلها تقريباً مكتوبة على مخطوطات بشكل الكراس ، ولايوجد الا اقلية جد نادرة من المخطوطات المسيحية على شكل ملفات . وقد اصبح شكل الكتاب الكراس هو السائد منذ القرن الرابع ، وحذا الوثنيون حذو المسيحيين وكتبوا مخطوطاتهم على رقوق وجعلوها على شكل الكراس . ولقد استبدلت ملفات البردى الموجودة في مكتبة قيصرية بكتب الكراس المكتوبة على الرق وذلك في القرن الرابع .

ان الانتقال من شكل الكتاب الملف الى شكل الكتاب الكراس ومن البردى إلى الرقوق والجلود كان حداً فاصلاً وعلماً بارزاً في تاريخ انتاج الكتب ويوازن في أهميته اختراع الطباعة باحرف طباعية متحركة والانتقال من الرق إلى الورق في القرن الخامس عشر .

وان الرق بشكله الاول ، شكل الملف لايزال يحظى بتقدير خاص حتى الآن في بعض المناسبات الخاصة . من امثلة ذلك اتخاذ شكل اللفافة في الوثائق التي يخلع عليها صفة رسمية ، كشهادات الشرف وغيرها . كما وان التعبيرات المستعملة الى الآن في اللغة الاوربية كلفظ رولRoleورولیتRollet وغيرهما ان هي الا الفاظ تذكرنا بالعصر الذي كانت تطلق فيه هذه الالفاظ على اللفافات واللفائف والملفات .

وان اشهر المخطوطات اليونانية الباقية في الوجود من تلك الفترة هي كتب مقدسة توراتية كتبت في القرنين الرابع والخامس الميلاديين . هذا وان اشهرها ثلاثة : الاولCodex Vaticanus (مخطوط الفاتيكان) وCodex Sinaiticus (مخطوط سيناء) وCodex Alexandrinus .

يتألف مخطوط سيناء ، في حالته الاصلية ، من ٧٣٠ ورقة (١٤٦٠ صفحة) طول كل صفحة ١٦ بوصة وعرضها ١٤ بوصة ، وكتب الكتاب على الرق ، وتحوي كل صفحة اربعة اعمدة . وقد اكتشف هذا المخطوط في ديرسانت كاترين على جبل سيناء قسطنطين تيشيندورفConstantine Tishandorfسنة ١٨٤٤ م . وكان جزء من المخطوط قد بدأ باحراقه راهب جاهل من رهبان الدير على انه شيء قذر ، ولكن تمكن تشيندورف من انقاذ البقية من الحرق وعددها ٣٩٠ ورقة واودعت في مكتبة بطرسبورغ ، واخيراً اشتراها المتحف البريطاني سنة ١٩٣٢ م بمبلغ مائة الف جنيه .

شكل الكراس :

كانت معظم الكراريس مكونة من عدة ملازم تحتوي كل واحدة منها على عدد معين من الاوراق . وبشكل عام ، كانت الملزمة الواحدة تحتوي على ورقتين او ثلاث او اربع . ومع هذا فقد عثر على عدة كراسات قديمة ، كان كل منها يضم بين دفتيه كل اوراقه مجموعة في كراسة وحيدة . ولابد ان هذا الترتيب قد ادى بالطبع الى قبح مظهر الكتاب . واضطر صناع الكتب الى ان يجعلوا عرض الاوراق الداخلية اقل من عرض الاوراق الخارجية .

اما احجام هذه الكراسات فكانت صغيرة في القرون الاربعة الاولى اذ كان عرض الكتاب حوالي ثلثي طوله تقريباً . وواضح انه كان في ذلك العصر ـ كما في عصرنا الحاضر ـ احجام معيارية معينة لانتاج الكتب ، وذلك عن طريق ثني الورقة مرة او مرتين .

ثم بدأت المعايير الكبيرة بعد ذلك الظهور والذيوع والانتشار ، وذلك ابتداءً من القرن الخامس الميلادي . وكما كان الحال في ملفات البردى القديمة ، وفي الكتب المعاصرة ، كان هناك ميل الى ترك هوامش كبيرة في المخطوطات الفاخرة ، في حين ان المخطوطات العادية تملأ صفحاتها بالكتابة حتى نهايتها وحوافها . ومع ذلك فقد روعي ، في الغالب ، ترك هامش جانبي للصفحات اكبر من الهوامش العليا والسفلى ، تجنباً لما يمكن ان يحدث لها من تلف .

العنوان وترقيم الصفحات ووسائل الايضاح :

كان الكراس ، في تنظيمه ، مماثلاً للملف ، حتى ان وضع عنوان الكتاب في آخر النص انتقل في العصور الاولى الى الكراس من الملفات ، وذلك على الرغم من عدم وجود مبرر عملي لذلك ، ولم ينتشر وضع عنوان الكتاب في اوله ومفتتحه الا في بداية القرن الخامس .

ولكن الشيء الجديد في الموضوع والذي اتى مع الكتاب الكراس هو ترقيم الصفحات . فبينما كان ترقيم الصفحات لافائدة منه للكتاب الملف حيث كانت الاعمدة مرتبة ، بالضرورة ، حسب مكان ورودها ، اصبح الترقيم ذا اهمية حقيقية في الكتاب الكراس . والواقع فقد اقتصر اول الامر على ترقيم الاوراق لاترقيم الصفحات ، ولكن بعد ذلك اتخذت الخطوة الاولى نحو ترقيم الصفحات .

كذلك بدأت الصور ووسائل الايضاح تظهر في الكتاب الكراس بشكل اكثر مما كانت تظهر في الكتاب الملف ، واغلب الكتب المصورة لدينا فيها صور حقيقية توضح مناظر مذكورة في نص الكتاب ، فقد استعمل فاروVarro حوالي ٧٠٠ صورة في معجمه الذي الفه في تراجم عظماء قدماء الرومان ، وكذلك زينت كتابات ارسطو وخاصة في التشريح بكثير من الصور الايضاحية . كما وجد في هذه الكتب الكراسية صور زخرفية ، وهي صور كاد ينعدم فيها التظليل ، ولذلك شابهت الاشكال والاشخاص والصور المضروبة على النقود والمحفورة على الآثار .

ونجد في المخطوطات اليونانية والقبطية التي ترجع الى القرن الرابع الحرف الاول من كل فقرة من فقرات الكتاب مكبراً وملوناً ويغلب عليه اللون الاحمر ومزيناً باقواس رأسية . ولقد استخدم النساخ في كتابة اقدم الكتب الكراسية نفس الكتابة التي استعملوها من قبل في كتابة الملفات ، وهي كتابة خاصة متقنة ، اخذ شكلها يزداد ثباتاً تدريجياً . وهناك مجموعة من المخطوطات اليونانية والقبطية ترجع الى القرنين الرابع والخامس وقد كتبت بخط متقن متشابه تقريباً ، وذلك على الرغم من تباين موضوعاتها ، وبحروف عريضة ممتلئة تدل دلالة مؤكدة على نزعة آخذة في الازدياد نحو تنظيم الكتابة واخضاعها لقواعد ثابتة .

وكانوا يستعملون للكتابة على الرق ، الناحية المجوفة من قصبة ريش الطيور الكبيرة كالنسر والغراب والاوز . وعن هذه الريشة التي عرفها الاقدمون ، أخِذَ ريش الاوز في العصر الحديث ، ومن بعدها الريش المعدنية المستخدمة في عصرنا الحاضر .

اما الحبر فكان تركيبه لايختلف عن تركيب الحبر المستعمل في الكتابة على ورق البردى ، ومنذ القرن الرابع ميلادي استخدم الى جانبه نوع آخر من الحبر المعدني الاحمر الضارب الى السمرة .

اما الحبر الحالي فلم يستعمل الا منذ القرن الثاني عشر ميلادي وكان يصنع من مواد الدباغة وسلفات الحديد .

ونحن لانعلم شيئاً ذا غناء عن طريقة تجليد كتب الكراس القديمة . ولاريب أنهم كانوا في الغالب يقنعون بتغليف الكتاب بغلاف من الرق . ومع هذا فقد عثر المنقبون في بعض المقابر المصرية على عينات من التجليدات القبطية ، التي استعمل فيها الجلد ،وهي ترجع في تاريخها إلى القرن السادس ميلادي وتحمل آثار زخرفية جميلة .

تجارة الكتب والناشرون في روما :

وعندما كان الرومان يستعملون الكتاب الملف كان طول ذلك الملف في المتوسط بين عشرين وثلاثين قدماً ، وعرضه بين ١٠ و ١٢ بوصة . وكان الملف يغلف بقطعة من القماش ويربط بخيط ، على حين كانت تغلف الملفات الثمينة جداً باغلفة من جلد .

وبعد ان بسط الرومان سيادتهم على اغلب اقسام العالم المعروف آنذاك ، وبعد ان وحدوا اقاليم البحر الابيض المتوسط واخضعوها لنظام سياسي موحد ، ظهرت لديهم تجارة نشطة في عالم الكتب ، قامت ، في الاعم الاغلب على اكتاف مهاجرين يونانيين ؛ كما نشط نسخ كتابات اعلام المؤلفين اليونان .

ولقد استخدم تاجر الكتب المسمى باللاتينية باسمBibliopola لهذا العمل عبيداً مدربين تدريباً خاصاً للقيام به اسمهم اللاتينيServi Litterati(العبيد العاملون في القراءة والكتابة) . اضف الى ذلك بدأ الاهتمام بنشر الكتب ، ولم يعد باستطاعة المؤلفين ان يتصلوا مباشرة بالجمهور الذي كثر عدده وتباعدت اماكنه ، حتى ان الشاعر هوراس كان على حق حين افتخر ان شعره يقرأ على شواطىء البحر الاسود ، وفي نفس الوقت على شواطىء الرون والابرو .

ويعتبر اتيكوس صديق شيشرون اول ناشر وصل الينا اسمه اذ انه تكفل بنفقات نشر مؤلفات شيشرون ، ولكنه لم يدفع اتعاباً للمؤلف ، لانه لم يشتر منه حقوق التأليف ، وانما اخذ على عاتقه نسخ عدد من النسخ فقط .

وظل المؤلف حراً في التعاقد مع ناشرين آخرين لانتاج نسخ اخرى من نفس كتابه ، وفضلاً عن ذلك ، فقد كان الناس احراراً في ان يشتروا نسخة ويستنسخوها ؛ اذ انه لم يكن يوجد تشريع يحمي الملكية الادبية ، ولم يرم المؤلفون الى الحصول على ربح مادي من وراء اعمالهم الادبية ، ولم يكن المؤلف يأمل في الحصول على ربح مادي الا باهدائه مؤلفه الى احد العظماء او الحكام او احد الاغنياء من مشجعي الاداب .

ولقد درج الناشرون على ان يقرأوا قراءة علنية امام نخبة من اصدقاء المؤلف فِقراً من كتاب المؤلف الجديد ، وذلك لاثارة الاهتمام به ، ولكن مالبثت هذه

العادة ان تطورت تطوراً سيئاً اذ استغلها صغار المؤلفين لقراءة مؤلفاتهم في الاجتماعات العامة . والغالب ان الناشرين كانوا يرسلون الدعوات للقراءة العلنية بمناسبة ظهور كتاب جديد على سبيل الدعاية ، وهي طريقة جيدة وناجحة للاعلان ومتبعة حتى ايامنا هذه ، وكان لابد للناشرين من ثقافة ادبية شخصية تساعدهم في عملهم ، فقد كان اتيكوس صديق شيشرون وناشره ذا ثقافة عالية وقام بنشر اعمال افلاطون وديموستين . وهذا عمل يتطلب ثقافة واسعةلان الناشر لابد ان يراقب عمل ناسخيه حتى تظهر النسخ خالية من الاخطاء وحتى لايشوه الاصل . وعلى الرغم من معرفتنا باسماء عدد آخر من الناشرين الرومان ، منهم الاخوة سوسيوسSosius الذين نشروا اعمال الشاعر هوارس ، ومنهم الناشر اللاتيني تريفونTryphon وغيرهم من الناشرين ، الا اننا لانعلم شيئاً عن مدى نشاط هؤلاء الناشرين واهمية مانشروه .

ومما يرتبط بالنشر اسعار الكتب ، وليس لدينا في هذا المجال معلومات دقيقة ، وان كان من المعروف انها تتناسب مع حجم الكتب ومظهرها واهميتها ومؤلفها ووضوح الخط المكتوبة بها وماماثل ذلك من امور . وكان لدى اثرياء الرومان الذين لديهم مكتبات خاصة عبيد ينسخون لهم الكتب التي يريدون الاحتفاظ بها . ولامراء في انه قد وجدت آنذاك نسخ قيمة وملفات فاخرة ذات اثمان عالية ، وخاصة ماكان منها حاوياً لمخطوطات مكتوبة بخط يد مشاهير المؤلفين والتي تهافت عليها هواة جمع الكتب من الرومان .